مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 18 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2022 الصفحات 73- 87

جماليّات النّص المرفل التّفاعلي، وسيرورة المتلقي

– قراءة في رواية الزّنزانة رقم 6، حمزة قريرة أنموذجا –

The Aesthetics of the Interactive Text and the Process of the Recipient: A Reading in the novel The Cell No. 6, Hamza Kerira as an Example

سمية قايم[1]،*

[1] جامعة الإخوة منتوري/ قسنطينة 1 (الجزائر)، soumiyakaim446@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022 /07/25 تاريخ القبول: 2022 /11/10

الكلمات المفتاحية:
الأدب الرقمي؛
الرواية التفاعلية؛
المتلقي التفاعلي؛
الثورة الرقمية؛
التجريب؛

الملخص:

«الرواية المترابطة تسكننا هما، وطريقة تفكير، واستراتيجية ابداع، وموقفا وجوديا، يجعلنا لانحيا الا ترابطا، وتشاركا، وتفاعلا» لبيبة خمار.

تروم دراستنا من خلال هذا المفتتح، الى تبيين مدى قدرة الأدب على مواكبة الثورة الرقمية، التي أدخلته مغامرة التجريب، والتي طغت على مختلف أجناسه الأدبية، كالشعر، والمسرح، والرواية، هذه الأخيرة التي أبت الا أن ترتدي ثوب الرقمنة والتكنولوجيا، متسائلين حينها: عن مدى استطاعة هذا الجنس أن يتجه اتجاه عصر المعلوماتية؟ ويتفاعل مع مكونات متعددة، من صوت وصورة وحركة، من جهة، ومدى وعي «حمزة قريرة» بهذه الثقافة الالكترونية، وتوظيفها في روايته الموسومة بـ الزنزانة رقم 6 من جهة أخرى.

Keywords:
digital literature,
interactive novel,
interactive audience,
digital revolution,
experimentation,

ABSTRACT:

"The interconnected novel inhabits us with anxiety, a way of thinking, a creative strategy, and an existential stance, which makes us live only in connection, participation, and interaction" (Labiba Khemmar). Through this introduction, our study aims to show the extent to which literature is able to keep pace with the digital revolution, which introduced it to the adventure of experimentation, and which overwhelmed its various literary genres, such as poetry, theater, and the novel. The latter of which refused but to wear the dress of digitization and technology, wondering at the time to which this gender is able to move toward the information age and it interacts with multiple components, from sound, image and movement, on the one hand, and the extent of Hamza Qerira's awareness of this electronic culture, and its employment in his novel entitled, "Cell No. 6", on the other hand.

* سمية قايم

مقدّمة:

بهذا المفتتح الّذي يحمل بين طيّاته بوادر ملامح التّجديد على مستوى الكتابة الإبداعية من جهة، وعلى مستوى الوسائط التواصلية من جهة أخرى، نلج باب فضاء الكتابة الزّرقاء، هذا الفضاء الرّحب، ذو المتلقي المتعدد، الذي راح ينسجم مع متطلبات العصر، و يعانق و يترافق مع هذا العالم التكنولوجي الحاسوبي، ليعبّر بحرية عن ذاته، وعن محيطه، عبر أجناس أدبية مختلفة، من رواية و قصيدة ومسرحية وغيرها، وهذا عين ما أثبتته "زهور كرام" في قولها: «يشهد الزّمن الراهن شكلا جديدا في التّلّقي، بسبب الثقافة التكنولوجية، التّي غيّرت إيقاع التعاملات الفردية والجماعية، كما سمحت بفضل وسائطها الإلكترونية والرّقمية على جعل الكلّ منفتحا على بعضه، ضمن شروط الثقافة الموحّدة رقميا، ساهم ذلك في تحرير الإبداعية الفردية (...) وفي إمكانية التّعبير والإبحار في المعلومة، فقد وجدت فضاء خصبا لاستثمار رغبة الذّات في التّعبير»[1]. والكشف عن قالب جديد، بعد رفضها للقوالب والأشكال الجاهزة، وكسرها لنموذج الكتابة التقليدية الكلاسيكية التي باتت لها معايير محددة، وهي مسألة حتمّها تطور وسائل التكنولوجيا، التي أدت إلى تطور الأدب، وانتاجها أشكالا تعبيرية جديدة، تعبّر عن واقع التحولات في ظّل عالم مرقمن.

"إنّها الكتابة التي تقع على التخوم بين الأنواع الأدبية المعروفة، من قصص وشعر، ورواية وتأملات ونجوى، وتعبر الحدود، وتسقطها بين الأجناس المألوفة والمطروقة، تتخّطاها وتشتمل عليها، وتستحْدث لنفسها جدّة»[2]، من طرف كتاب ظل البحث عن البديل ديدنهم.

وعليه، قبل الولوج لفحوى هذه الدراسة، جدير بنا أن نقف عند عتبة هذا الأدب الجديد، الذي يشهد شكلا جديدا من التجلي الرمزي، باعتماده على وسائل تكنولوجية حديثة، والذي يطلق عليه اسم الأدب الرقمي: «ذلك الأدب السّردي أو الشعري أو الدّرامي الذي يستخدم الإعلاميّات في الكتابة والإبداع، أي يستعين بالحاسوب أو الجهاز الإعلامي من أجل كتابة نص أو مؤلف إبداعي، ويعني هذا أنّ الأدب الرقمي هو الذّي يستخدم الواسطة الإعلامية، أو جهاز الحاسوب أو الكمبيوتر، ويحوّل النّص الأدبي إلى عوالم رقمية وآلية وحسابية»[3]، هذا النّص الذي خضع كذلك لنظام السّنة الطّبيعة القائمة على مبدأ التّغير، فهو «كلّ نص يُنشرُ نشرا الكترونيا سواء كان على شبكة الانترنت، أو على أقراص مدمجة، أو في كتاب الكتروني، أو البريد الالكتروني وغيره، متشكلا على نظرية الاتّصال في تحليله، وعلى فكرة التّشعب في بنياته»[4]، في حين نرى "حسام الخّطيب" يدرج له تعريفا آخر قائلا: «أن النّص الرّقمي نوعان: «النوع الأول: النّص الرّقمي ذو النّسق السلبي، وهو النّص المغلق الذّي لا يستفيد من تقنيات الثورة الرقمية التي وفّرتها التّقنيات الرّقمية المختلفة مثل: تقنية النّص المتفرّع اليها يبرتست، أو الملتيميديا المختلفة من مؤثرات صوتية وبصرية وغيرها.... النّوع الثاني: النّص الرقمي ذو النّسق الإيجابي، وهو ذلك النّص الذي ينشر نشرا رقميا، ويستخدم التقنيات التي أتاحتها الثورة المعلوماتية والرقمية، من استخدام النّص المتفرع إليها بتركيب، والمؤثرات السّمعية والبصرية الأخرى، وغيرها من المؤثرات التي أتاحتها الثورة الرقمية»[5].

وعليه فالأدب الرّقمي، لا يمكن استيعابه إلاّ بتمثله لمختلف دلالته اللّغوية وغير اللّغوية، عبر وسائط تعمل

على تحويل النّص الأدبي، من مستوى تواصلي إلى آخر، مغادرا بذلك أطلال الورق والحبر، ليعانق الشاشة ومختلف الفنون والوسائط السّمعية والبصرية، ليصل حينها المتلقي إلى كتابة تعتمد على الحرف وتنوعاته، وعلى الرسوم والفنون التشكيلية المرئية، وبرامج "الغرافيك" و"الفوتشوب".

ولهذا فالأدب الرقمي أو المترابط أوالمرفّل "Hypermedia"*، ويقصد به في علم الحاسوب "دمج الرسوم والأصوات والفيديو أو أي تشكيل آخر، في منظومة ترابطية بشكل رئيسي لخزن المعلومات واستدعائها، وفكرة النص المرفل وخاصة في تشكيلة تفاعلية تكون فيها الإختيارات بيد مستعمل الحاسوب، تتركز هيكليا حول السعي لتقديم وسط للعمل والتعلم (...) بدلا من التنقل المفروض تتابعيا من موضوع لآخر كما في القائمة ألفبائية "[6]، لهذا شكل هذا النوع من الأدب تطويرا وإغناء له، "الذي يتّم في علاقة وظيفية مع التكنولوجيّة الحديثة، لاشكّ أنّه يقترح رؤى جديدة في إدراك العالم، كما أنّه يعبّر عن حالة انتقالية لمعنى الوجود، ومنطق التفكير»[7]، هذه الرؤى الجديدة المبتكرة جعلت قارئ البوم، أمام نوع أدبي جديد يتخذ الكتابة الزرقاء سبيلا له، ووسيط تفاعليا يتعامل معه بطريقة أو بأخرى، ويتقاطع معه، مانحا هذا النّوع من الكتابة صفة التفّاعلية "Interactivrty" رغم أن هذه الصّفة لا تختص بالأدب في طوره الالكتروني فقط، بل أنّه لا يكتسب وجوده وكينونته، الاّ بتفاعل المختلفين معه من القراء، وهذا جَوْهره، والتي تعد (التفاعلية) « كلّ إنجاز في زمن أقل، وبسرعة أكبر، وبوجود عدد لا يُحصى من المتلقين، مع خلق روح المنافسة بينهم لإبداع أفضل».[8] بصفتها خاصية للعمل الأدبي تدخل ضمن البرنامج، هذا الأخير الدي لم يعد من وجهة القارئ، "نظاما يندرج فيه القارئ، بل صار أداة يستخدمها القارئ نفسه، في بناء المعنى بواسطة القراءة".[9]

وأكثر من هذا، فهي تعد «سيادة المتلقي على النّص، وحريته في اختيار نقطة البدء فيه، والانتهاء به كيف يشاء هو، وعلى غير ذلك من الأوجه الجديدة والمبتكرة للتفاعل» في مختلف أجناس الأدب، من شعر ونثر وغيرهما، وهذا ما سنوضحه في المخطط الآتي: [10]

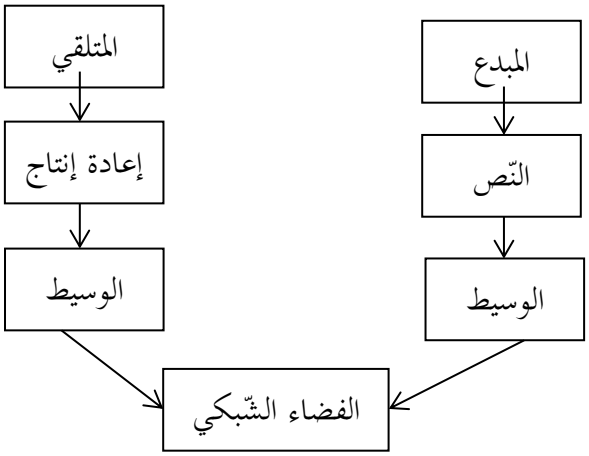

وقد أجمل "حافظ محمد عبّاس الشمري، من خلاله أهم مواصفات الكتابة التفاعلية والمتمثلة فيما يأتي:

1-أنّ الأدب التفاعلي يقدم نصّا مفتوحا، إذ يلقى المبدع نصّه في أحد المواقع على شبكة الأنترنيت، ويترك

للقراء حريّة إكمال النّص أو تعديله أحيانا كما يشاؤون.

2-يمنح الأدب التفاعلي المتلقي فرصة الإحساس بانّه مالك لكلّ ما يقدّم على الشّبكة فيعلي من شأنه، كما يمنحه فرصة الحوار الحيّ والمباشر، من خلال المواقع ذاتها، التي تقدم النّص التفاعلي مهما كان نوعه وجنسه.

3-لايعترف الأدب التفاعلي بالمبدع الوحيد للنّص، فجميع المتلقين للنّص التفاعلي مشاركون فيه.

4-البدايات غير محددة في بعض نصوص الأدب التفاعلي، إذ يمكن للمتلقي أن يختار نقطة البدء التي يرغب بأن يبدأ دخول عالم النّص من خلالها، كما أن النهايات غير موحّدة في معظم نصوص الأدب التّفاعلي.

5- في الأدب التفاعلي تتعدد صور التفاعل بسبب تعدد الصور التي يقدم بها النّص الأدبي نفسه إلى المتلقي_ المستخدم»[11].

وبهذا يُمكن القول إنّ "الأدب التفاعلي" والذي يشمل مختلف التعبيرات الأجناسية هو «مجموع الإبداعات التي تولدّت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة من قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنّها اتّخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي»[12].

ومن بين الأجناس الأدبية التي دخلت العالم التكنو أدبي، نجد الرّواية والمسرحية والشعر، وغيرهم.

1- الرواية التفاعلية: Interactive Novel.

الرواية التّفاعليّة جنس أدبي توّلد من رحم التكنولوجيا، وتكوّن من العوالم الافتراضية للحاسوب، مصطلح غربي «مقابل للمصطلح الأجنبي Interactive Novel، وممّا يجدر ذكره هو وجود مصطلح أجنبي آخر، يعبّر عن الجنس الأدبي الالكتروني ذاته، الذّي يقدم الرّوائي من خلال استثمار معطيات التكنولوجية الحديثة هو مصطلح "Hyperfiction"، الذي لا يختلف في دلالته عمّا يحمله مصطلح "Interactive novel"[13]، ويمكننا تعريف هذا اللّون حسب رأي "عبير سلامة" بقولها: «هي رواية قيد الكتابة أو التشكيل، يشترك في إبداعها أكثر من مؤلف، لا تقرأ بأسلوب خطّي، وتمنح القرّاء اختيارات التّوجه لنقاط مختلفة في النّص، وتشكيله عمليا بالاشتباك معه سواء للتعليق أو الإضافة»[14].

وبهذا الاصطلاح الذي أقرته "عبير سلامة" يتضح لنا مفهوم النّص الروائي المترابط hyperxtext، المرفل التفاعلي، الفائق الممنهل، والتي آثرت مصطلح "التشعب"، «اعتمادا على أنّ معاني التشعب (الانسياب والتفرق واللاخطية والانتشار على مستويات مختلفة) تتضمنها معاني السّابقة hyper»[15].

وعليه يمكننا تعريف هذا النّمط الجديد، للرواية بأنه نوع من الفنّ الروائي، يقوم فيه المؤلف بتوظيف الخصائص التي تتيحها تقنية (النّص المرفّل)، والتي تسمح بالربط "بين النّصوص سواء أكانت نصّا كتابيّا، أو صورا ثابتة أم متحركة، أم أصوات حيّة أو موسيقية، أم أشكالا جرافيكية متحرّكة، أم خرائط، أم رسومًا توصيحية، أم جداول أم غير ذلك، باستخدام وصلات تكون دائما باللون الأزرق، وتقود إلى ما يمكن اعتباره هوامش على متن، أو إلى ما يرتبط بالموضوع نفسه، أو ما يمكن أن يقدّم إضاءة أو إضافة لفهم النّص بالاعتماد على تلك الوصلات»[16]، لإنتاج أدب موجّه للمتلقي عبر الوسيط الالكتروني، مستفيدا في سبيل تحقيق ذلك من مختلف الصّياغات التي ظهرت في

النّص الشبكي، والذي يمنحه من خلاله، فرصة المشاركة والإضافة، و يعطيه مساحة تساوي أو تفوق مساحة المؤلف.

والسؤال الدي يتبادر إلى أذهاننا كيف يمكن للحاسوب أن يؤلف قصّه أو شعرا أو رواية؟ والذي نستطيع أن نطلق عليه مثلا بالشعر الكمبيوتري، أو الرواية الكمبيوترية؟ وكيف أثرت ثورة الاتصالات في الأدب؟ بلغة عباس مشتاق معن

هذا ما سنجلّيه في دراستنا للرواية الإلكترونية التفاعلية الجزائرية، من خلال تجربة الروائي "حمزة قريرة"[17]، الموسومة ب "الزنزانة رقم 6"، والتي تعد من أولى محاولات الكتابة الروائية الجزائرية الجذمورية والجذمور "rhizoma" نبات على شكل سلق تنمو أفقيا تحت الأرض على مستوى البساط ، وليس على مستوى الجذور يستعملها النبات للانتشار وتوليد نباتات جديدة ، وقد تم نقل هذا المصطلح من حقل النبات ليصبح استعارة فلسفية تحيل على غياب المركز والبداية والنهاية "[18]، المكتوبة على الفضاء الأزرق.

أ–ملخص الرواية:

رواية موسومة ب"الزنزانة رقم 6"، تتألف من ستة فصول: «موت بلا موعد، خطوة في الفراغ، حزن مسافر، قبلة وداع، رؤيا، تأشيرة على جهنم»، تتخلّل هذه الأسفار تتوسطها عناوين فرعية، يتمازج لونها بين الحمرة والسّواد، من مثل اللون الأحمر :الجهنم، بحر الموت، بحر الخراب، عدم، بحر الدم، واللون الأسود: في العنوانين الفرعيين، خطيبة ووطن يبحث عنّي.

نص روائي يطرح عبر متونه "حمزة قريرة" النّظام السّائد الفاسد، على مستوى الوطن العربي الإسلامي/ الجزائري، ويعرض عبر فضائه مختلف الآفات والظواهر الإجتماعية السائدة والخطيرة، والتي يمكننا إجمالها في: ظاهرة البيروقراطية، أكل المال العام، الغش، السرقة، إخضاع صوت الحق للصمت، وغيرها من أنواع الظّلم وبشاعته، صمت صوت المثقف، هذا الأخير الذي أصبح يُزَجّ به في المعتقلات والسّجون، رواية تروي الجوّ المعيشي السّائد في الدّول العربية الإسلامية، خاصة أثناء طرحه للقضية الاقتصادية، المتمثلة في ارتفاع أسعار بعض المواد الأساسية هذه الأحداث التي كانت نتيجتها الانقلاب على هذا النّظام، والزّج ببعض حاملي الأفكار الثورّية، والتغييرية ضده في الزنزانات، وهذا ما نراه في شخصية "مراد" بطل هذه الرواية.

ب–تجربة "حمزة قريرة" في نواة الرواية التفاعلية "الزنزانة رقم 6"[19]:

الرواية التفاعليّة جنس أدبي منفتح وهجين، منفتح على عوالم جديدة أكسبته تنافرا وتشتتا وتشظيا، وهجين من حيث غياب الأصول المعرفيّة الّتي بنيت عليها الرواية التفاعلية، وقد كسبت بانفتاحها على المعلوماتية خاصيات أخرى جعلت منها جنسا مترابطا، دون مراكز أو أطراف لذلك تعتني بالعتبات وبالخارج.. وبكل الحقول المحايثة باعتبارها جذامير تعمل على انتشارها[20] واكبت رواية "الزنزانة رقم 6" كغيرها من الأجناس التفاعلية التطور التكنولوجي، واستثمرت كلّ الإمكانات المتاحة من البرمجيات، والوسائط المتعددة، لأنه حين ينبري إلى الاحتفاء بهذا النوع من النصوص، يفتح نافذة جديدة يطل بها على الأدب الرقمي في بعده التطبيقي، لمتلقي (إيجابي)، يمنحه

خيارات كثيرة للقراءة والمشاركة، وبالتالي دعوته لإنتاج نص جديد، أو تعديل مساراته.

فمن خلال تجربة "حمزة قريرة"، نرى أنه مرّ بعدة محاولات ومراحل، قبل وصول روايته "الزنزانة رقم 6" إلى شكلها الحالي، يمكننا تقديم ملخصّا لأهمّ هذه المراحل والتي أجملها فيما يلي:

-اختيار الموقع:

-قام بإعداد موقع "ويب" خاص، باعتبار صفحاته مترابطة بروابط تشعبية، محققة بذلك النّص المفرع.

-انطلق من برنامج الفرونت بيج "Microsoft office Frontpage"

وهو تطبيق برمجي للتحرير بلغة "HTML" ويظهر عند فتحه بالشكل الآتي:[21]

ومن خصائص هذا البرنامج انّه يمنح المؤلف/ المبدع إمكانية الكتابة، كما يمكنه أيضا ربط نصه بروابط تشعبية ويمنحه إمكانات هائلة في التحكم بالوسائط المتعددة ،وإدماجها كبنيات في النّص التفاعلي (رواية، شعر، مسرح) وبعد انتهائه من تصميم الموقع كان بالشكل الآتي:[22]

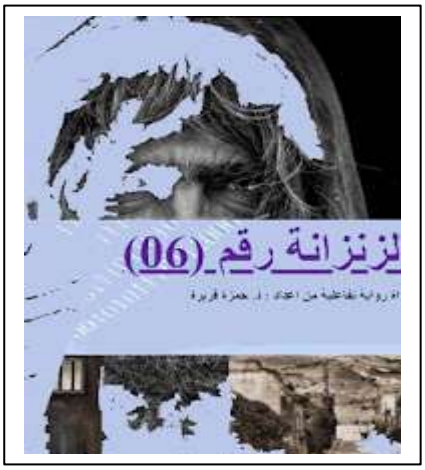

وعبره يتم الولوج إلى أي جنس أدبي تفاعلي لينطلق الابحار، وبالضّغط على الرواية التفاعلية نحصل على:[23]

لكن هذه المحاولات باءت بالفشل نتيجة عملية القرصنة لموقعه، فآثر نوعا آخر من البرمجيات التي تمنحه إمكانات مختلفة في احتواء النص الخطاب الأدبي التفاعلي بمختلف مقّوماته، وفي نفس الوقت تفتح له نوافذ خاصة بالمتلقي ليكون مشاركا، أو معدّلا في النص، ومنها مثلا الرابط بلوجر BLOGGER: https://www.blogger.com

من إنتاج جوجل:goole، وورد براس: wordpress وهو على الرابط: https://fr.wordpress.com

ونقدم صورة للموقعين:

– **إنشاء المدونة:** ويكون هذا بعد اختياره وحصوله على بريد إلكتروني، فاختار البريد باسم التفاعل interactive 010101، فيه تفعيل المدونة، باسم الأدب والفنّ التفاعلي literature and art –Interactive بعد عملية التّحضير للمسودة، قام بإعداد المكونات حسب طبيعتها، بالاعتماد على توظيف علامات لغوية، وعلامات غير لغوية من "رسم، وموسيقى، وأصوات، وفيديو، وغيرها من الفنون السّمعية البصرية.

2–قراءة في رواية الزنزانة رقم 6: عند فتح الموقع "الأدب والفنّ التفاعلي" كتب في وسط الصفحة:

تحتها مباشرة، توجد ستة فصول:

بعدها ننقر على الأيقونة الخاصة المعنونة بـ "السفر "موت بلا موعد"، نجدها تتوسط حيزا أسود، على فضاء أزرق تختص بالأحداث و الشخصيات الرئيسية المهمة في النّص، من مثل: اسم "مراد" الذي كتب بلون أسود قاتم، تحته سطر، فينتابنا فضول في النّقر على رابط الكلمة، فتتضّح لنا بطاقة تعريف له.

ويليها باللّون الأحمر "اسم زكي" فيضع له بطاقة تعريف أخرى خاصة.

وأثناء القراءة نجد كتابة بلون أسود بارز تحتها سطر "الزنزانة رقم 6 "فننقر على الرابط، فإذا هي بزنزانة الموت، عبارة عن فيديو.

يصف لنا فيه "حمزة قريرة" أنواع العذاب، وحالة "مراد" داخل هذا المكان بعدها نعود إلى قراءة الأحداث، نجد كذلك شخصيات أخرى منها شخصية "سعيد" حارس المقبرة، وسفيان الأستاذ الذي أدرج لهما كذلك بطاقة تعريف، والتي نرى فيها أن الاسم لشخص، أمّا الصورة فتفاجئنا بصورة لحيوان، تاركا فيها المبدع مساحة للمتلقي، ليضفي مشاركته وإنتاجه لمسارات جديدة للفصل، للتفاعل والإضافة في الرابط الآتي:

بعدها المتلقي يكمل الضّغط والنقر على الرابط الموالي: أسمع أصواتا تنبعث من تلك النافذة. لتظهر له في الشاشة مقطع موسوم بـ "الصرخة"

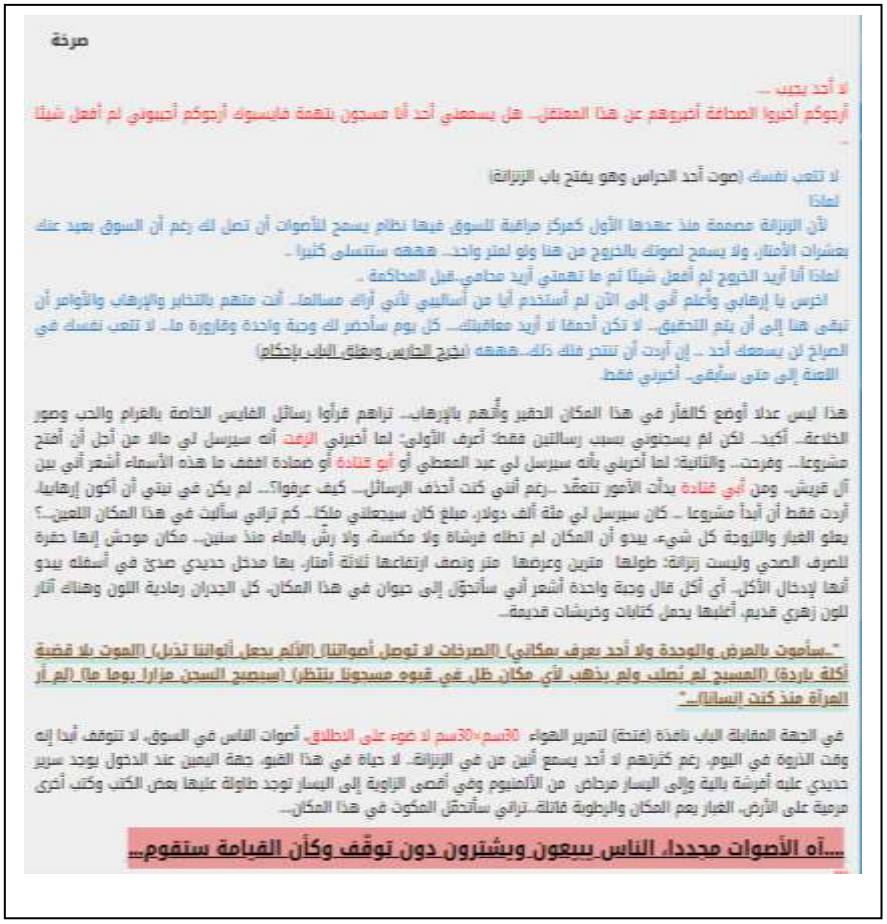

-هذا الفصل يتشعب إلى نص آخر معنون ب "خربشات" على جدار الزنزانة، وهي عبارة عن صور، ولوحات كتبت، ورسمت على جدار الزنزانة رقم 6، رسمها من كان قبله من المعتقلين، وكأنّها بمثابة بطاقات هوية، لمن كان فيها، واعترافات لأناس وأشخاص، ، صرخة لأصوات لا تُسمع، وآلام لأفراد تُذْبلُ.

وعليه ففي كلّ مرة يتم ادراجه لروابط مختلفة، يضعها بألوان مختلفة لها ليظهر لنا مُتَصَفَّحُ آخر، وعقد أخرى "تنمو وتتكاثر تحت السطح دون الالتفات حول مركز معين ،لاستلهام المبدع بنية الجذمور"[24]، وبعنوان آخر يعالج من خلاله فكرة، ويطرح جرّاءه رأيا، مستعينا في ذلك بجانب آخر غير لغوي، لتعدّد الوسائط من مثل الصّوت والحركة، وهذا مانراه كذلك في مقطع مناجاة[25].

مناجاة

إنها اللحظات المفضلة لدي في اليوم، لا أسمع فيها شيئا، إلا مواء القطط ونباح الكلاب، في السوق المظلم لا حركة ولا صوت إلا ما تنقله الرياح، الكل يموت مؤقتا ليُبعث في الصباح... أشعر أني ملك الظلام أتّحد بالنسائم الباردة التي تخرج وتدخل من القناة الوحيدة في الزنزانة، أطير إلى السوق أجول وأمرح في المدينة النائمة، أصل إلى أطرافها، تبدو مختلفة في الليل لا أحد هناك إنها مدينة أشباح لا وجود للحياة إلا في بعض المنازل بنورها الخافت، لا بد أن فيها شعراء، هم وحدهم لهم القدرة على الحياة في الليل، هم وحدهم من يتحدون الموت، أسمع أحدهم يهذي باسم من يحب يبدو أنها سرقت عقله وسافرت بعيدا .... وآخر تعانق شفاهه سيجارة ويسافر مع دخانها يقطف نجوم الأمل، يعيش الأحلام كباقي الشعب.... وهذه شاعرة تدوس واقعها تتحدى القهر في غرفتها النائية في بيت أهلها تنام وحيدة، تتحرّر من كل شيء تعانق الورق مع صوت فيروز تعبر إلى اللامتناهي، وتقول ما لم يقل من قبل ...آآآه جسدها قصيدة وهي تتراقص على أوتار الحرف أرغب في تقبيلها من جبينها، وأنا نسيم بارد، تفتح نافذتها وأعبر بعيدا إلى الفضاء أرى المدينة المتعبة وهي تستفيق..

(للتفاعل وإضافة مسارات جديدة اضغط هنا/ اكتب الرمز مع الرسالة.05)

العودوة- خطوة في الفراغ

3–المقاربة الميديولوجية في رواية "الزنزانة رقم 6" لحمزة قريرة:

يُوجد من (الروايات التفاعلية) العربية التي يمكننا التّوقف عندها، والتمثيل لها على منوال فكرة هذا اللون الأدبي الالكتروني النزر القليل، ويمكن أن نجد مثل هذه النّبرة في ما كتبه الناقد المغربي "محمد أسليم"، في مقاله الموسوم بـ "المشهد الثقافي العربي في الأنترنيت "قراءة أولوية": «لم يتم لحد الأنّ ولوج الشكال الجديدة للكتابة، كما لم تكتب، ولو رواية عربية واحدة ضمن الجنس الأدبي المسّمى بـ (النّص المتشعب التّخيلي)»[26].

والذّي لم يكن لصاحب المقالة المؤرخة سنة 2003 و"سعيد يقطين" العلم، بأن محمد سناجلة في عام 2001 م قام بكتابة رواية الكترونية والتي يمكننا عدّها أول رواية الكترونية عربية أطلق عليها اسم "ظلال الواحد"، إضافة إلى رواية: "صقيع " و"شات"...

أمّا إذا نظرنا في الساحة الأدبية الجزائرية، أو بالأحرى إلى النّص الروائي الالكتروني الجزائري التفاعلي، فلم نجد إلاّ تجارب قليلة من أمثال "أحلام مستغانمي" في روايتها نيسان com، وتجربة "حمزة قريرة" في نواته السردية

التفاعلية الأولى الموسومة بـ 'الزنزانة رقم 6"، وغيرهما

وإنّ المتعارف عليه أنّ النّص الإبداعي، يتوسط عنصرين آخرين هما: المبدع والمتلقي، وهذا ما تُمثله الخطاطة الآتية:[27]

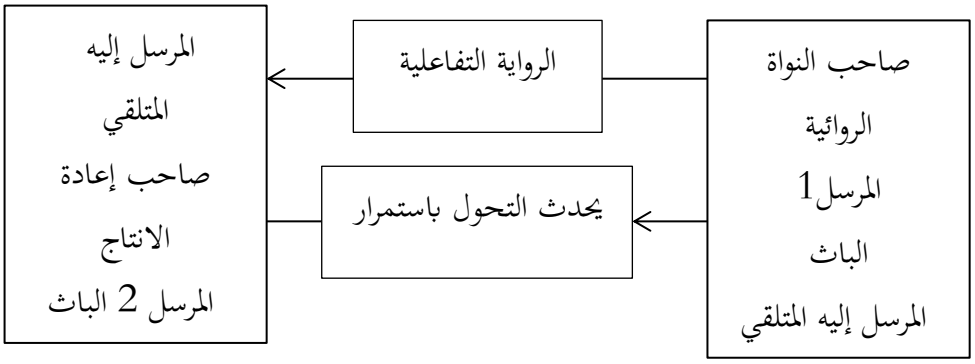

فمن خلال ما تقدم يتضّح لنا عدم وجود فاصلة بين المنتج (المبدع) والمتلقي الذي سيصبح منتجا ومشاركا ثانيا في العلمية الابداعية السردية التفاعلية.

وهذا ما نلاحظه في الافتتاح النّصي، لهذه الرواية، والمتضمنة لعينة من النصوص تأخذ أشكالا مختلفة من حيث التجلّي (الحركة، واللّون، الموسيقي، المشهد...) وغيرها من الفنون الأخرى، والوسائط التكنولوجية الحديثة التي استثمرها "حمزة قريرة"، مشتغلا في ذلك بتقنية النّص المرفل، والذي نرى أنّه عالم بثقافة المعلوميات ولغة البرامج، والتقنيات الرقمية، وهذا ما تسفر عنه تجربته، والتي كسرّ فيها النّمطية الخّطية، إلى الكتابة اللاّخطية، موجهة الى قارئ، يبدو هذا الأخير منسجما فيها مع الشاشة، حينها تكون مساحة النص تساوي أو تفوق مساحته، والتي يفترض عليه أن يمتلك نفس إمكانيات الثقافة الرقمية.

قارئ نص "حمزة قريرة" المرّفل، حُرّ في اختياره، له حرية البداية في القراءة، أي يبدأ من أي زاوية شاء فمثلا أثناء النّقر على أيقونة "الفن والأدب التفاعلي"، يملك حرية البداية بتعريف الرواية التفاعلية وأهم خصائصها مثلا، أو الولوج مباشرة إلى فحوى النواة التفاعلية، وقراءة فصولها، وهذا يعدّ مبدأ من مبادئ تحقيق تفاعلية النص الأدبي الإلكتروني، وبالتالي يمنح قارئه حرية اختيار بداية قراءته، مع منحه حرية الخروج من النّص دون الانتهاء من قراءته، وهذه الحرية في الاختيار والابحار في فضاءات هذا النّص المرفل الروائي، «تتجه إلى ضرورة ترك المجال مفتوحا أمام التصرف الحرّ كيفما كان، كما هو الشأن مع ممارسة حقوق الإنسان، لأنّ الوضع سيؤدي إلى شبه الاغتسال من زمن القمع والكتب، ومن ثمة يتّم إدراك الحرية باعتبارها قيمة إنسانية فعالة في ممارستها للفرد والآخر والمجتمع»[28]، وهذا عين ما أراده "حمزة قريرة" في نصه، بل بالأحرى ما أراده "مراد" بحثا عن الحرية، وسعيه لمحاربة الظلم، والانعتاق من دوامة "الزنزانة رقم 6" وهذا من "باب التحسيس بالحرية باعتبارها بعدا فلسفيا و وجوديا للفرد، والزمن التكنولوجي باعتباره مكتسبا حضاريا، وتاريخيا للإنسانية، ولهذا فإنّ توظيفه في بعده الإنتاجي سيمنح لهذا الزّمن أصالته وشرف انتمائه إلى هذا العصر»[29].

إضافة إلى ذلك، نرى أن المبدع، طرح نوّى نصية أخرى غير مكتملة (جزئيا)؛ حيث يقوم المتلقي بالتفاعل

والإضافات في مسارات النّص، وهذا ما نراه مثلا في الفصل الأول من المتن «موت دون موعد»، والمتمثلة في نقاط "الحذف" مثلا، وذلك حين يقول عن "سهام" «كانت رائعة وتابعة للحزب الوطني، كنت مستعدا لأن أكون مع حزب الشيطان لأجلها... فكر في شيء آخر ليس وقتها... أيها الأحمق... ما عساني أفعل حتى أهلي لا يعرفون أني هنّا أساسا، لا أهل لي من سيأسل؟»[30]، بعدها أردف قوله: «للتفاعل وإضافة مسارات جديدة اضغط هنا/ أكتب الرمز مع الرسالة»[31]، فيذهب النّص حينها إلى أقصى درجات التكيف فيأخذ «شكل طلقة سريعة تمضي باللغة إلى أقصى درجات الضغطّ المؤثرة على المساحات المحيطة بالكلمات، التي تُجمع وتُكدّسُ على بعضها البعض، سادّة كل الثّغرات والفراغات المتواجدة بينها»[32]، بواسطة متلقي متفاعل يعمل على سدّ تلك الفجوات والفراغات حسب ما تُمليه عليه قراءته اللاّخطية، وهناك وظيفة سردية أخرى لجأ إليها "حمزة قريرة" في تفعيل نصه، وذلك باختراقه لحواجز ينفتح من خلالها قارئه على فضاء الشاشة، تتجلى في تطعيمه بمختلف الفنون منها الرسم والموسيقى، والحركة، وغيرها، لتشغل "الخلفية المشكلة من الصّورة والمشهد واللّون والحركة والموسيقى لغة مبرمجة معلوماتيا تشخص الفضاء النّصي الذّي تنطلق منه الحكاية[33]، حكاية الزنزانة رقم 6، وهذا ما رأيناه سابقا.

والتي استثمرها "حمزة قريرة" ليحطم بها رتابة المكان والزمان، وهذا ما يمنح الرواية حيوية، يمكنها أن تشاهد وتتلمس من خلال الانتقال من مقطع سردي إلى آخر، وليذكر القارئ بأن "الأمر لم يعد يتعلق بالكتابة باللغة المعجمية، وإنّما أيضا بلغة الصورة والمشهد»[34]، ويشخص رواية "الزنزانة رقم 6" عبر الرابط، تشخيصا تم بالمؤثرات الصوتية والبصرية سرديا عبر تقنية الوسيط المترابط Hyper-media، ليكون "النص الذي تدفع كلماته القارئ إلى الغوص في كاليكرافيته المحتفية بالتوزيع الزمكان، لبقع السواد والبياض، ولعلامات الترقيم، فاتحة الكتابة على عالم الرسم، تدعوه إلى التفكير لإكمال ما نقص وتوضيح ما غمض تركيبيا ودلاليا، وتحفّزه على الإبحار والتفاعل الإيجابي لتقطير الجمل والخروج منها بومضات تختزل الكون وتثري الداخل بوهج لا ينطفئ»[35].

جعلت من هذه اللوحات المتشظية مكانا لغويا، ونشاطا للمتلقي ليبحر بمجاديفه عبر وسيط الشاشة.

وعليه، فإنّ قراءة مشاهد رواية "الزنزانة رقم 6" تعد تجربة جزائرية أولى ، طرح من خلالها "حمزة قريرة" محنة الإنسان العربي /الجزائري وما يعانيه في واقعه المعاش يعبر فيها عن حالة الإنسان المأزوم نفسيا، يعيش قلقه وذلك بكسر النّمط السردي المألوف، الذي يجعل نهاية النص مفتوحة موجة لقارئ تفاعلي يعد مكونا بنائيا للنص.

قائمة المصادر والمراجع:

- إدوارد الخرّاط: الكتابة عبر النّوعية، مقالات في ظاهرة القصة، القصيدة، دار شرقيات، القاهرة، ط1، 1994م.
- حافظ محمد عباس الشمري، إيّاد إبراهيم فليح الباوي: الأدب التفاعلي الرّقمي، الولادة وتغير الوسيط، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2013.
- حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النّص المتفرع، المكتب العربي للترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1996م.

- حمزة قريرة: الزنزانة رقم 6: لرابط:www.litartint.com/2018/11/blogpost.htm
- زهور كرام: الأدب الرّقمي، أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيميّة، دراسة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط2، 2013.
- سعيد يقطين: من النّص إلى النّص المترابط، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م.
- عبير سلامة: أطياف الرواية الرّقمية، ملتقي القاهرة، الرابع للإبداع الرّوائي العربي، 2008م.
- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م.
- فيليب بوطز:ما الأدب الرقمي، ترمحمد أسليم مجلة علامات العدد 35.
- لبيبة خمار النص المترابط- فن الكتابة الرقمية وآفاق المتلقي-رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط1، 2018.
- لبيبة خمار: النص المترابط، فن الكتابة الرّقمية وآفاق التلقي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018.
- http://www.addoubaba.com/aslim.htm.

الهوامش والإحالات:

[1] زهور كرام: الأدب الرّقمي، أسئلة ثقافية وتأمّلات مفاهيميّة، دراسة، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط2، 2013، ص 14.

[2] ادوارد الخرّاط: الكتابة عبر النّوعية، مقالات في ظاهرة القصة، القصيدة، دار شرقيات، القاهرة، ط1، 1994م، ص 28.

[3] المرجع نفسه: ص 05.

[4] حافظ محمد عباس الشمري، إيّاد إبراهيم فليح الباوي: الأدب التفاعلي الرّقمي، الولادة وتغير الوسيط، مركز الكتاب الأكاديمي، الأردن، 2013ص 30.

[5] نقلا عن حسام الخطيب: الأدب والتكنولوجيا وجسر النّص المتفرع، المكتب العربي للترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1996م، ص 41.

[6] نفسه :صفحة نفسها

[7] زهور كرام: الأدب الرّقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص 23.

[8] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، ط 1، 2006م، ص 55.

التفاعلية: التفاعلي: " Interactivity" عند البحث في الجذر اللّغوي للفظة "فعل" في المعاجم العربية التراثية نجد صيغا وتعريفات كثيرة، ولكن صيغة "تفاعل" غير موجودة على الإطلاق، لا في لسان العرب، لابن منظور، ولا في القاموس المحيط للفيروز أبادي للتوضيح أكثر يراجع كتاب فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي.

[9] فيليب بوطز:ما الأدب الرقمي، ترمحمد أسليم مجلة علامات العدد 35، ص105

[10] حافظ محمد عباس الشمري، إياد ابراهيم فليح الباوي: الأدب التفاعلي الرّقمي، الولادة وتغير الوسيط، ص 35.

[11] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص 50، ص 53.

[12] سعيد يقطين: من النّص إلى النّص المترابط، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص ص 9، 10.

[13] فاطمة البريكي: مدخل غلى الأدب التفاعلي، ص 111.

[14] عبير سلامة: أطياف الرواية الرّقمية، ملتقي القاهرة، الرابع للإبداع الرّوائي العربي، 2008م، ص 5.

[15] المرجع نفسه، ص 3.

[16] فاطمة البريكي: مدخل غلى الأدب التفاعلي، ص112.

[17] حمزة قريرة: من مواليد ولاية ورقلة، أستاذ بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، **من مجاله الإبداعي**: رواية جوكاستا تحت الطبع، مسرحية – الأستاذ– تحت الدراسة لتقدّم، مسرحية تفاعلية/بلا نظارات الحياة أفضل، رواية تفاعلية /الزنزانة رقم 06، قصيدة تفاعلية/ الحب يتكلم كل اللغات، صاحب مدونة الأدب التفاعلي، مقدّم حصة كتاب من مكتبة بإذاعة ورقلة الجهوية سنة 2008.

[18] لبيبة خمار النص المترابط– فن الكتابة الرقمية وآفاق المتلقي–رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط1، 2018

[19] حمزة قريرة: الزنزانة رقم 6: متاحة على الرابط:www.litartint.com/2018/11/blogpost.htm

[20] ينظر: المصدر نفسه : ص 63

[21] المصدر نفسه.

[22] المصدر نفسه.

[23] المصدر نفسه.

[24] لبيبة خمار النص المترابط: ص 68

[25] حمزة قريرة : www.litartint.com/2018/11/blogpost.htm

[26] محمد أسليم: المشهد الثقافي العربي في الأنترنيت (قراءة أولية)، متاح على الرابط:
http://www.addoubaba.com/aslim.htm.

[27] حمزة قريرة.www.litartint.com/2018/11/blogpost.htm

[28] زهور كرام: الأدب الرّقمي، أسئلة ثقافية وتأملاّت مفاهيمية، دراسة، ص 17.

[29] المرجع نفسه، ص 18.

[30] حمزة قريرة: الزنزانة رقم 6.

[31] المصدر نفسه.

[32] لبيبة خمار: النص المترابط، فن الكتابة الرّقمية وآفاق التلقي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2018، ص 92

[33] زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهمية–دراسة–ص 74.

[34] المرجع نفسه، ص75.

[35] لبيبة خمار: النص المترابط فن الكتابة رقمية وآفاق التلقي، ص 92.